الفصل الرابع

المشروع القومى المصرى ومراحله المختلفة

واحترام مبارك لرموزه .

obeikandl.com

obeikandl.com

- بـدايتــه وسمــاتــه .
- المرحلة الأولى « محمد على ١٧٦٩ - ١٨٤٩ »
  * هدف محمد على ووسائله لتحقيقه .
  * العوامل التى أوقفت محمد على عن تحقيق مشروعه .
- المرحله الثانية (١٨٨١ - ١٨٨٢) الثوره العُرابيه .
  * هدفها .
  * العوامل التى تفاعلت لحدوث هذا الحدث التاريخى .
  * وسيله الحركه الوطنيه لتحقيق هدفها .
  * العقبات التى وقفت تحقيق غاية الحركة الوطنية .
- المرحلة الثالثة : ثورة ١٩١٩م بزعامة « سعد زغلول »
  * ثورة ١٩١٩ .. أسبابها وأهدافها .
  * ما حققته ثورة ١٩١٩ .
  * ما حدث فى أعقاب الثورة من إعداد المشروع القومى لمصر الحديثة .

obeikandl.com

obeikandl.com

« المشروع المصرى القومى »

وتطوره عبر العصور

* بدايته : -

شهدت ولادة مشروع مصر القومى فى عام ١٨٠٥ حين وقفت الجماعة الوطنية المصرية فى وجه التحدى الخارجى المتمثل فى إنتهاك الجيوش الأجنبية لترابها الوطنى .

فكما وُلِدَت مصر التاريخية قبل آلاف السنين إستجابة لتحدى البيئة فى إقليمها ، كذلك ولدت مصر الحديثة إستجابة من الجماعة الوطنية لتحدى الأخطار المحدقة بها وتجسيداً لإرادة هذه الجماعة فى بناء الدولة الحديثة والمجتمع الجديد فى إطار مشروع قومى من أجل النهضة والتقدم ولقد عبَّر الشعب على لسان زعمائه عن إرادته فى إختيار حاكمه وتكوين حكومته بنفسه

* سماته : -

إن كل مرحلة تمر بها الجماعة الوطنية المصرية تضيف أبعادها الواقعية إلى هذا المشروع فتثرى مضمونه وتضيف إلى تراكم خبرته وتصقل تجربته وتزيد من تفاعلاته فى علاقاته بمن حوله من شعوب الدنيا أى أنه ما كان صالحاً فى خدمة الذات القومية فى فترة زمنية معينة قد يكون أكثر فائدة أو أقل فائدة أو لا فائدة منه فى فترة زمنية أخرى تتلوها ونعنى بذلك التغير فالذى يتتبع المشروع المصرى القومى يلاحظ عدة سمات هى (١) : -

---

(١) مبارك والمشروع القومى المصرى . الهيئة العامة للإستعلامات ١٩٩٣م .

(١) - استمرار الشعب المصرى صاحب هذا المشروع على أرض الكنانة محتفظاً دائماً بشخصيته المتماسكة وبنسيجه الوطنى القوى من الوحدة الوطنية والتجانس القومى .

(٢) - إن الشعب المصرى لم يقدم للعالم مهارات الغزو والتدين بل كان دائماً شعباً يصنع الحضارة ويبنى العمران ويستطيع أن يحمى ويدافع عن حريته واستقلاله .

(٣) أن « القيادة » شغلت دائماً مكانة هامة فى مراحل المشروع القومى إبتداء من محمد على وإبنه القائد إبراهيم مروراً بأحمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وطلعت حرب وحتى جمال عبد الناصر ومحمد أنور السادات وقائد مسيرتنا محمد حسنى مبارك .

ـ مراحله :-

● المرحلة الأولى « محمد على » ١٧٦٩م - ١٨٤٩م »

استطاع « محمد على » أن يرسى قاعدة نهضة مصر الحديثة فى مستهل القرن التاسع عشر فقد حَرَّك إيجابيا سكون المنطقة التقليدى وأول من أثبت أن مصر يمكن أن تنهض من جديد عن طريق توظيف مناهج جديدة حديثة تجمع بين العلم والاقتصاد والجندية .

ولقد سجَّل علماء الحملة الفرنسية « مشاعر النُبل والهمة وعظمة الروح » تلك الفضائل التى استغلها محمد على كقوه دفع لتحقيق ما فشلت فيه الحملة الفرنسية التى رأت أنه باصلاح نظام الحكم وبوضع « القوانين » التى تمنح الشعب « الأمل والهمة » وترد له كل الفضائل التى فقدها واستخدام فنون

الغرب باخضاع الزراعة « لخطة شاملة » وخلق « صناعة جديدة » وانشاء الترسانه البحرية والموانى » يمكن تحقيق نهضة مصر ولم يكن بمقدور حكام تركيا أن يفهموا ذلك ولكن محمد على تصور ذلك ومارسه .

وقد جاء فى كتاب « وصف مصر » الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية هدف أو مشروع حملتهم جاء فيه « إن ذكرى الحملة الفرنسية لم تمضى مطلقاً دون أن تأتى ثمارها ولسوف تعرف القسطنطينية كل المزايا التى كان بمقدورها ان تحصل عليها لو أنها أعطت لهذا الاقليم إدارة أفضل كما ستتبين بكل سهولة أيه مرام أو نوايا كانت ترمى إليها تلك القوى الأوربية التى سعت لاعادة تثبيت سلطة المماليك ، فلا يمكن أن تكون هناك وسيلة أكثر ضماناً لحرمان مصر من الميراث الخاص بها إلا باعادتها إلى طغاتها الأُوَل ... وأخيراً فإن البلاط العثمانى سيكون بمقدرة أن يلجأ إلى فنون الغرب » (١) .

هدف محمد على ووسائله لتحقيقه :-

كانت غاية محمد على الرئيسيه أن يبنى دوله يحكمها هو وأبناؤه من بعده ورأى أن الوسيلة إلى ذلك جيش قوى - نظام إنتاجى يلبى مطالب الجيش الدفاعيه وكان لديه الاستعداد لقبول ما يلائم المصلحه من مناهج الغير واستعمل التعليم والتدريب فى تكوين صفوه تنفذ مشروعه وإستعمال الاحتكار فى الزراعه والتجارة والصناعة ليوفر الأموال من أجل المدرسة والمصنع والجيش (٢) .

---

(١) علماء الحملة الفرنسية . وصف مصر ـ الجزء الأول ، ص ٣٢٢ .

(٢) مبارك والمشروع القومى المصرى . مرجع سابق .

العوامل التى أوقفت محمد على عن تحقيق مشروعه :-

١ - الوضع الاجتماعى - الثقافى للشعب المصرى فى ظل السيطرة العثمانيه المتجمدة وسيطرة المماليك :-

وهذا يعنى تدنى عنصر « الكُيف » السكانى إلى جانب قلة « الكم » فعدد السكان فى ١٨٠٠ م لم يكن يزيد عن ٥ر٢ مليون نسمه وهذا ما سجله علماء الحملة الفرنسية كما أن « الجبرتى » المؤرخ المصرى المعاصر لتلك الفترة سجل خلو البلاد من العلوم الحديثة كالرياضيات والفلك . ورغم ذلك وجد محمد على من أبناء هذا الشعب من إستوعب العلوم الحديثة « تلامذه البعثات » وعادوا بها إلى مصر ... وكان رفاعه الطهطاوى يرى أنه يمكن نشر التعليم الجماهيرى فى مصر فى عشرين عام .

٢ - توقف مشروع محمد على عند حدود الصفوه : -

وذلك لأن إصلاحاته لم تتعمق فى الأوساط الشعبية المنتجه من الفلاحين الذين شكلوا الغالبية العظمى من الشعب فقد كان أجر العامل الزراعى لا يزيد عن قرش واحد يومياً وأجر المجند ٨ قروش شهرياً مقابل « ثلاثة ألاف » ريال عضو البعثه العسكريه الفرنسيه أو « مائه ألف ريال» رئيس هذه البعثه .

كما كان عمال الصناعة يجندون من بين الفلاحين والصبية والشحادين بالمدن إن لم يكن بالرضا فبالإجبار - فالجلد عقاب الهارب والقتل لمن يتكرر هروبه وكانت السخره وسيلة تجنيد الأيدى العاملة للمشروعات العامة ولم يتغير وضع الأميه كثيراً فى المجتمع رغم دخول نظام التعليم الحديث مصر وكانت الضرائب تفرض على منازل القرى وأشجار النخيل والحيوانات فى حين تفرض على الرؤوس فى المدن بعد بلوغ سن الثانيه عشر من العمر .

٣ - عدم تقيد محمد على فى دولته بقانون أودستور :-

وهو فى ذلك قد إستمر فى التقاليد القديمة فى الاستبداد ولم يتحمل وجود زعامة « شعبية » تعارض قراراته ورغباته التى تضر بالشعب .

وافتقر إلى المستشارين الوطنيين المستنيرين لتخلصه من الزعماء الأحرار من أمثال عمر مكرم . كما لم يعبأ كثيراً « بمجلس المشورة » الذى أقامه عام ١٨٢٩ كما كانت المصالح الشخصية أو القومية لمستشاريه الأجانب تُدخل على مشروعه عناصر متناقضه .

٤ - وقوف مصالح تركيا وبريطانيا ضد مشروعه فى بناء دوله حديثه مستقله فى مصر :-

أدى تدهور قوه تركيا - والتى كانت تتبعها مصر منذ عام « ١٥١٧ » - إلى إستخدام الدول الأوربيه لنفوذها لدى الآستانه للسيطرة على مصر ونجحت بريطانيا فى عام ١٨٣٨ فى مد تطبيق الاتفاقيه التجارية التى عقدتها مع تركيا إلى مصر ثم فرضت بريطانيا مع القوى الأوربيه الرجعيه فى ذلك العصر « النمسا - روسيا - بروسيا » على مصر معاهدة ١٨٤٠م .

ورغم تلك العوامل التى أضرَّت بالمشروع القومى المصرى فى عهد محمد على إلا أن التحديث الذى أدخله أرض مصر نتج عنه آثار تفاعلت مع معطيات الأوضاع المصريه عبر القرن التاسع عشر ....

• المرحلة الثانية (١٨٨١ - ١٨٨٢) الثورة العُرابية

هدفها : مصر للمصريين

فقد جاءت الثورة العُرابية نتيجة لتطورات تاريخية ظلت تتفاعل من أواخر القرن ١٨ ومستهل القرن ١٩ وفيها أعلنت الأمة المصرية عن وجودها فى مواجهة الحكم المستبد فى الداخل وقوى الاستعمار فى الخارج وفيها برزت ضرورة « القيادة » لكى تحقق الأمه المصرية ما تستهدفه من غايات .

العوامل التى تفاعلت لحدوث هذا الحدث التاريخى

١ - المشروعات العمرانية ..

ما تم تحقيقه من مشروعات عمرانيه كبيره فى الرى والصناعة والجيش والأسطول والمواصلات كانت كلها ساحه للعمل المشترك يجتمع فيه آلاف العمال والأداريون والمهندسون المصريون يعملون معاً مشاركين فى نفس الأمال حاملين نفس الراية وتربط المواصلات الحديثة من طرق وسكك حديدية البلاد من الاسكندرية الى القاهرة والسويس فوضعت حداً « للمحليه » المنعزله وفتحت عصر « الوطنية » الواسعة عصر الأمة المصرية .

٢ - التجنيد : -

صقل شباب الفلاحين بالتدريب وأعاد السلاح إلى أبناء الأمة المصرية بعد أن نزعه منهم المماليك والعثمانيون فتره طويلة .

وبذلك إنتقل أبناء الأمة إلى آفاق الوطنية الواسعة وأصبح الشرق الأوسط ساحه تحرُّكهم عبر سيناء والبحر المتوسط وعبر البحر الأحمر تحت راية

واحدة . كما يقدم التعليم الحديث الذى أدخله محمد على وإسماعيل خدمتين لهذه الأمه الحديثه فقد « صهر » أبناء فئات إجتماعية متعددة فى مواطنه جديده أساسها « المعرفة والوطنية » وأيضاً أدى إلى صعود أبناء الفئات الأدنى إلى مراتب إجتماعية أعلى ويمهد التعليم للصحافه طريقاً لتشكيل رأى عام متجانس يهتم بالقضايا الوطنيه وكلها تدور حول مصالح الأمة ونهضتها فى مواجهة الأجانب والمرتزقة .

٣ - ظهور مفهوم الملكية الزراعية الخاصه .

وقد ظهر ذلك بالتدريج بدلاً من مجرد حق الانتفاع مما أوجد إحساساً جديداً بالإرتباط بالوطن فقد كان تجار القاهرة يثورون ضد نهب الجنود المماليك والاتاوات وأعباء الضرائب أما الأن سيثور المصريون من أجل أراضيهم ومن ثم من أجل وطنهم .

٤ - ظهور المثقف المصرى .

وكان لذلك دوره فى إستعمال قوه الفكر فى خدمه المشروع القومى لبناء مصر الحديثة ويأتى رفاعة رافع الطهطاوى رائداً للمثقفين المصريين والفكر المصرى الحديث ومن أقواله : - « إن إراده التمدن للوطن لاتنشأ إلا من حبه » ويقول أيضا « إذا ظهرت الحمية الوطنية فى أبناء الديار المصرية وولعت بمنافع المدنية فلا جرم تزكو نارها وتغلب على القوة الأولية فيحصل لهذا الوطن من التمدين الحقيقى المعنوى والمادى كمال الأمنية » ... وقد سار على دربه رواد الفكر المصرى من بعده .

٥ - تكوين مجلس شورى النواب .

وقد كان عاملاً أسهم فى تكوين الشعور القومى المصرى ففى ساحته تحدث الممثلون المصريون عن الأمه المصريه وحقوقها وضرورة إخضاع مجلس الوزراء لسلطة نوابه .

٦ - التحرش الأجنبى بمصر .

لعب التحرش الأجنبى بمصر دوره فى إزكاء الحركة الوطنية .

٧ - تكوين جمعية وطنية .

لوضع برنامج يؤكد قدرة مصر على سداد ديونها . نظراً للديون الخارجيه الهائلة والتى نجمت عن سوء الادارة والاستبداد فقد شكلَّ الوطنيون المصريون « جمعيه وطنيه » لوضع برنامج يؤكد قدرة مصر على سداد ديونها ويطالب أيضا بمسئولية الحكومه أمام مجلس شورى النواب – وذلك لسد الباب أمام التدخل الأجنبى فى الشئون المصرية – وعندما وافق حاكم مصر آنذاك الخديوى إسماعيل على ذلك ليعزز مكانته كحاكم فى مقابل قوى التدخل الأجنبى سعت بريطانيا إلى عزله وتعيين ابنه توفيق حاكماً لمصر عام ١٨٧٩ .

وبعد ثلاث سنوات وفى صباح ١١ يوليو ١٨٨٢ قامت بريطانيا بتوجيه مدافع أسطولها إلى طوابى الاسكندرية وغيرها ونزلوا بالمدينه فى اليوم التالى.

ومنذ عام (١٨٧٩ – ١٨٨٢) وضح أمام الأمه المصرية أنه لكى تصل إلى حكم دستورى عليها أن تواجه ثلاث قوى « الاستعمار الاجنبى – الحكم المستبد – التخلف » وكانت غاية الحركة الوطنية فى تلك الفترة أن تكون « مصر للمصريين » .

وسيلة الحركة الوطنية لتحقيق هدفها :-

كانت الوسيلة الوحيدة أمام الحركة الوطنية لتحقيق هدفها النبيل هى العناصر الوطنيه فى الجيش المصرى تزعمهم « أحمد عرابى » والذى أعلن أمام مقر الحاكم فى ميدان عابدين معبراً عن إرادة الأمة . « سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم » وفى ذلك يقول قائد الثورة العُرابية فى مذكراته « لما رأينا أننا بتنا فى إذلال وإستعباد ولا يتمتع فى بلادنا إلا الغرباء حَرَّكتنا الغيره الوطنية والحمية العربية إلى حفظ البلاد وتحريرها والمطالبه بحقوق الأمة »(١) .

وكان ما كان من محاكمة زعيم الوطنية المصرية ونفيه إلى سيلان وعاد منها شيخاً محطماً عام ١٩٠١ ومات بالقاهرة عام ١٩١١.

العقبات التى وقفت ضد تحقيق غاية الحركة الوطنية :-

١ – القوه العظمى فى ذلك الوقت « الامبراطورية البريطانية » والتى كانت تعمل على الاحتفاظ بالأحوال المصرية سيئه حتى تتمكن من السيطرة عليها وإحتلالها لموقعها الاستراتيجى على طريق المواصلات البريطانية نحو الشرق .

٢ – القلة المسيطرة ذات التكوين الشركسى والتركى بزعامه الخديوى توفيق فهى ترى أن مصالحها فى مأمن إذا إرتبطت بمصالح بريطانيا .

٣ – تركيا ذلك الرجل الذى أصبح مريضاً تتلاعب بها القوى الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا لتحقيق أغراضها فى مصر .

---

(١) أحمد عرابى . المذكرات ، ص ٨٩ .

وهكذا ركزت الحركة الوطنية المصرية هدفها بعد ١٨٨٢ على مواجهة المستعمر البريطانى كأول أولوياتها مع مواصله التحديث والتغيير من خلال التعليم ودخول المصريين مجالات الانتاج الجديدة .

• المرحلة الثالثة :- ثورة ١٩١٩ بزعامه « سعد زغلول »

عادت إرادة الأمه تنهض من جديد بعد أن كسب أعداءها الجوله عام ١٨٨٢ وتم توجيه دفه البلاد لصالحهم بزعامه اللورد كرومر- وهاهو الشيخ محمد عبده يدعو إلى ضرورة أن يبدأ الاصلاح من المدرسة وإصلاح الأزهر ويثير مصطفى كامل الهمم وينير للأمه الطريق إلى النهضة من جديد من خلال التعليم الأهلى المستقل وتنمية الثروه والتماسك الوطنى والنضال من أجل الاستقلال وإقامة المجلس النيابى لأنه على حد قوله « الآنشودة التى يجب أن يترنم بها المصريون بعد طلب الاستقلال وسواء كان سابقاً أو لاحقاً لتخلص البلاد من رد الاحتلال فإنه الضمانة الوحيدة والكفالة الصحيحة لسلامة القوانين والحرية الخاصة والعامة » (١) .

وقام بتأسيس الحزب الوطنى عام ١٩٠٧ وقد عبرً برنامجه عن مطالب الحركة الوطنية وهى الاستقلال - الحكم الدستورى - نشر التعليم « بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه » والتنمية الاقتصادية - الوحدة الوطنية - تنمية علاقات مصر بدول أوربا والعمل لايجاد أنصار لها فى كل أنحاء العالم .

---

(١) خُطب مصطفى كامل . ص ٣٢٩ : ٣٣٠ .

وقدمات مصطفى كامل فى عنفوان رجولته وحمل محمد فريد رايه الجهاد وذهب بها إلى أوروبا وقد أُعلِنَتْ الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ (ومات محمد فريد بعيداً عن وطنه عام ١٩١٨م) .

وأعلنت بريطانيا زوال السيادة التركية عن مصر وأعلنت بدلاً منها الحماية البريطانية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وفى اليوم التالى قررت عزل الخديوى عباس حلمى بن محمد توفيق وأعلنت عمه حسين كامل سلطاناً على مصر الذى توفى عام ١٩١٧ وتولى أخوه بإسم حضره صاحب العظمة السلطان أحمد فؤاد .

• ثورة ١٩١٩ ... أسبابها وأهدافها

رغم ما تحمله المصريون فى ظروف الحرب العالمية الأولى من تضحيات حيث حُوِّلت المرافق الاساسية فى مصر لخدمه المجهود الحربى البريطانى وشارك ما يزيد على مليون مصرى فى خدمة إمدادات المياه والنقل والتخزين وحفر الأبار وغيرها مما يحتاجه الجيش البريطانى مما أدى إلى تصاعد إرتفاع الأسعار وصعوبة المعيشة للأغلبية – ورغم الوعود البريطانية عرف المصريون أن أمالهم فى الحرية والاستقلال لن تتحقق من خلال ترتيبات مؤتمر السلام .

فاندلعت الثورة ثورة الأمه المصرية بكل فئاتها ضد الحماية والإحتلال البريطانى فى مارس ١٩١٩ وفيها وكلت مصر « سعد زغلول » ورفاقه فى زعامه ثورتها التى تمثلت أهدافها فى الاستقلال – الحكم الدستورى – الاصلاح الشامل أما أسلحتها فهى « المظاهرات – الإضرابات » وكان ذلك عوضاً عن إفتقاد الأمه إلى الجيش نظراً لوجودالاحتلال البريطانى منذ ١٨٨٢ .

• ما حققته ثورة ١٩١٩م.

تمكنت الإرادة المصرية من تحقيق أهداف هامه مثل : -

- إلغاء الحماية البريطانية فى تصريح ٢٨فبراير ١٩٢٢ الذى يعترف باستقلال مصر مع تحفظات أربع وذلك عندما وافق البرلمان البريطانى على هذا التصريح فى ١٥ مارس وقد رقى فؤاد من سلطان إلى ملك باسم صاحب حضره الجلاله الملك فؤاد الأول .

- إعلان دستور ١٩٢٣ .. ففى إبريل من هذا العام منح جلالته شعب مصر دستوراً .

- إرتفاع موجه الشعور الوطنى التى إستطاع طلعت حرب أن يوجهها فى طريق البناء الاقتصادى إبتداء بإقامه بنك مصر وحركة التصنيع المصريه الأولى .

وكذلك ظهور الكُتَّاب والشعراء والمصورون والمثالون ذلك الجيل الصاعد الذى نشأ فى أعقاب ثورة ١٩١٩ .

• ما حدث فى أعقاب الثورة من أعداد المشروع القومى لمصر الحديثة

بعد أن هدأت الثورة عمل أعداء المشروع القومى لمصر الحديثة على تعطيل التطورات التى أحدثتها الثورة .. فالملك يريد أن يحافظ على حكمه الاستبدادى وأحزاب الاقليات تعمل على تزييف الانتخابات - والوجود البريطانى فى مصر يحافظ على بقائه بالاحتفاظ بالسلطة الحقيقة فى مصر والمصالح الأجنبيه تؤكد من سيطرتها على الاقتصاد الوطنى .

وثورة ١٩١٩ تمكنت من تحقيق جزئى لأهداف الحركة الوطنية تمثل ذلك فى :-

إستقلال منقوص - حكم نيابى شكلى - مؤسسات إقتصادية وطنية إلى جانب السيطرة الأجنبية على الاقتصاد الوطنى ..

وبقى على الحركة الوطنية أن تحقق الاستقلال التام والحكم النيابى الحقيقى - والاقتصاد الوطنى المصرى لمرحلة تالية .

obeikandl.com